مركز الخليج للأبحاث
المعرفة للجميع

مختبر الحوار الخليجي
Gulf Dialogue Lab

أوراق ثقافية

ترجمة الثقافة بين السعودية واليونسكو

الزبير عبد الله الأنصاري

مايو – 2024

تتمثل مهمة الترجمة الأساسية في تخطي الحواجز اللغوية التي تحول دون التعرف على ثقافات الأمم الأخرى، لكن إنجاز هذه المهمة ليس في المتناول دائماً، إذ تظل الثقافة عصية على الترجمة في كثير من الأحيان، وحتى إنْ أمكنت ترجمتها على المستوى الفني، فإنَّ هناك عوائق أخرى سياسية وأيدلوجية قد تحول دون نقلها بين اللغات نقلاً خالصاً من شوائب التحيز والانتقائية

ولا يقتصر مفهوم الثقافة في سياق الترجمة على النتاج الإنساني بمختلف أشكاله الفلسفية والعلمية والأدبية والفنية، وإنما يشمل مجمل المعتقدات والممارسات لمجتمع ما، ومدى إمكانية تحويل النصوص من خلال عملية الترجمة إلى نوافذ لاستكشاف الثقافات في إطار خصوصياتها التاريخية، وما تستتبعه هذه الخصوصيات من تفرُّد يضيف إلى التعددية الثقافية حول العالم ويثريها

شراكة سعودية أممية

وفي إطار هذا الدور المهم للترجمة في نقل الثقافات، وقَّع مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية في 18 مارس 2024 اتفاقية مع منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة "اليونسكو" لإنشاء كرسي اليونسكو لترجمة الثقافات، بدعم من هيئة الأدب والنشر والترجمة في المملكة العربية السعودية

ويهدف الكرسي، بحسب القائمين عليه، إلى تشجيع الأبحاث والشراكات التي تدعم ترجمة الثقافات كوسيلة لمدّ الجسور بين الحضارات، والعمل على ترجمة النصوص الثقافية الرئيسة من اللغة العربية وإليها، مع التركيز على خلق حوار بين الثقافات المتنوعة، إضافة إلى دعم الجيل الجديد من الخبراء في الترجمة الثقافية عبر تطوير وتنفيذ المبادرات التي تعزز التعليم، والمعرفة، والبحث في مجال ترجمة الثقافات والعلوم الإنسانية

.

كما يسعى الكرسي لإيجاد مزيد من التأثير والإلهام في الأساليب والسياسات والممارسات المبتكرة في مجال ترجمة الثقافات؛ لتوسيع مفهوم «الثقافة»، وتعزيز التنوع الثقافي، وفهم الثقافة العربية بكل مكوناتها عبر الترجمة، ومن ثمّ تعزيز الوعي والاهتمام المجتمعي والمؤسسي بقيمة الترجمة الثقافية من أجل تعزيز فضاءات ثقافية أكثر شمولاً وتنوعاً

ويغطي الكرسي عدداً من الموضوعات المتعلقة بترجمة الثقافة، بما في ذلك "إعادة النظر في ترجمة الثقافات وإطارها المفاهيمي"، و"ترجمة العلاقات الثقافية الصينية العربية"، و"ترجمة الثقافات في عصر الذكاء الاصطناعي"، و"ترجمة ثقافات الشباب والمرأة"، وترجمة الثقافة العربية"، و"ترجمة الثقافات في العلوم الاجتماعية العربية"

كما يرتبط بالكرسي "مختبر ترجمة الثقافات" الذي يهدف لتحقيق رؤية الكرسي وأهدافه البحثية عبر توفير منصة يشارك فيها باحثون من مؤسسات علمية مرموقة، وذلك لإنجاز المخرجات السنوية، علماً بأن المختبر سيستمر لمدة أربع سنوات

وتنسجم هذه المبادرة مع التوجه السعودي لإبراز العناصر الثقافية المكونة للهوية الوطنية، كما هو واضح من تخصيص العام الماضي (2023) للاحتفاء بالشعر العربي، وهذا العام (2024) للاحتفاء بالإبل، فالمكون الثقافي الأصيل جزء حيوي من رؤية السعودية 2030، وركن أساسي في جهود الرياض للانفتاح على العالم انطلاقاً من هويتها المحلية، ومن هنا جاءت العناية بالترجمة لنقل هذه الهوية بمرتكزاتها الثقافية إلى العالم نقلاً أميناً يعبر بصدق عن حيويتها وثرائها والقيمة التي يمكن أن تضيفها للثقافات العالمية الأخرى

"

كما هو واضح من تخصيص العام الماضي (2023) للاحتفاء بالشعر العربي، وهذا العام (2024) للاحتفاء بالإبل، فالمكون الثقافي الأصيل جزء حيوي من رؤية السعودية 2030

إشكاليات ترجمة الثقافة

كما يأتي تأسيس الكرسي إدراكاً من المنظومة الثقافية في السعودية ومنظمة اليونسكو لصعوبة الترجمة متى ما تعلَّق الأمر بالثقافة، نظراً إلى جملة من التحديات التي يرجع بعضها إلى الثقافة من حيث علاقتها باللغة، ويرجع بعضها الآخر إلى الممارسات الحديثة للترجمة

1- تحديات الثقافة

ترتبط كل لغة بإطار ثقافي خاص يحدد معجمها، ويفرض الطريقة التي تنظر بها إلى العالم، ولهذه العلاقة أثرها الكبير على عملية الترجمة، من جهة أنَّ انعدام ممارسة أو مفهوم معين في ثقافة ما يعني انعدام المادة اللغوية التي تعبر عن تلك الممارسة أو ذلك المفهوم، ومن هنا يجد المترجمون صعوبات هائلة في نقل هذه المفاهيم والممارسات عبر اللغات المختلفة

وكما يؤكد الدكتور سعد البازعي في كتابه "هجرة المفاهيم: قراءات في تحولات الثقافة" فإنَّ الترجمة "باتت تواجه الاختلاف الذي يذكر بتعددية ليس اللغات فحسب وإنما الثقافات وإمكانية مناقلة كثير من المفاهيم والمصطلحات والنظريات فيما بينها". ويشير البازعي في هذا الصدد إلى القاموس الفرنسي معجم ما لا يترجم (Dictionary of Untranslatable) الذي جاء ليؤكد "انغراس ما يقارب الأربعمئة مفهوم في العديد من اللغات، منها العربية، في لحمتها الثقافية والتاريخية وأنَّ نقلها ممكن لكن جزئياً فقط، أي أنَّ أمشاجاً من الدلالات تظل عالقة في الأصل ويستحيل انتزاعها"

ومما يفاقم المشكلة أنَّ هذا التعالق اللغوي الثقافي لا يقتصر على هذه المفاهيم التي ترتبط غالباً بالتراث الفلسفي لكل أمة فحسب، وإنما يشمل أيضاً الحياة اليومية بمختلف أبعادها، والطريقة التي تتعاطى

بها الجماعة اللغوية مع العالم من حولها. ويحدد ديفيد كاتان في كتابه "ترجمة الثقافات" جملة من المستويات التي تكشف من خلالها الثقافة عن نفسها في اللغة، بما في ذلك البيئة والقيم والمعتقدات والسلوك وأنماط التواصل مع الآخرين، فكل لغة تعبر عن هذه الأمور بطرق مختلفة من الصعب جداً إعادة إنتاجها في اللغات الأخرى

ومن هنا تظهر، كما يشير إلى ذلك كاتان، الحاجة إلى اضطلاع المترجم بدور الوسيط الثقافي الذي يسهل التواصل والتفاهم بين جماعات مختلفة من حيث اللغة والثقافة. ولكي يقوم المترجم بهذا الدور على الوجه المطلوب، لا بدَّ أن يكون له حظ من الثقافتين المنقول منها والمنقول إليها، بمعنى أن يكون ثنائي الثقافة (bicultural) وليس ثنائي اللغة فقط (bilingual).

وتتعدَّد إستراتيجيات الترجمة المستعملة في التعاطي مع الإحالات الثقافية في النصوص، فهناك إستراتيجية الإضافة والشرح التي تقوم على إدراج مواد إضافية داخل النص الهدف (target text)، إمَّا في المتن أو الحاشية، لتوضيح السياق الثقافي للنص المصدر (source text) لقارئ اللغة الهدف، وهناك إستراتيجيات أخرى تعتمد على إيجاد المكافئ الثقافي (cultural equivalent) في اللغة الهدف وتوظيفه في تقريب المضامين الثقافية في النص المصدر. وإلى جانب هذه الإستراتيجيات، تبرز أيضاً قدرة المترجمين المحترفين على التعامل، بصورة لا واعية في كثير من الأحيان، مع تعقيدات الاختلاف الثقافي، وذلك بفضل ما تسميه منى بيكر الثقافة المتعالية (meta-culture)، التي تتيح للمترجمين تلمُّس المشتركات الإنسانية الكامنة وراء الاختلافات، والاستعانة بهذه المشتركات في عملية الترجمة

> لحاجة إلى اضطلاع المترجم بدور الوسيط الثقافي الذي يسهل التواصل والتفاهم بين جماعات مختلفة من حيث اللغة والثقافة

وعندما يتعلَّق الأمر بالثقافة العربية، فليس المهم فقط الإستراتيجيات التي توظف على المستوى الفني لنقلها بين اللغات، بل لا بدَّ أيضاً من العناية بأمرين،

الأمر الأول: إيجاد رؤية مشتركة تعضدها إرادة سياسية في الفضاء العربي لوضع الثقافة العربية في سياق عالمي، بمعنى أنْ يصحب عملية الترجمة حراكٌ منظَّمٌ للترويج لهذه الثقافة والتصدي لما تتعرض له من محاولات تشويه، ليس فقط من خلال إبراز مشتركاتها مع الثقافات الإنسانية الأخرى، وإنما أيضاً من خلال التأكيد على مظاهر تفردها وارتباطها بسياقات تاريخية لا بد من استيعابها لتقدير قيمتها الحقيقية.

وهذه المسألة في غاية الأهمية لا سيما في التعاطي مع بعض النصوص العربي كالأدب الكلاسيكي من شعر ونثر، إذْ بدون فهم التقاليد الثقافية والفنية لهذا الأدب وعلاقتها بالحياة العقلية للعرب منذ الحقبة الجاهلية، فإنه من الصعب على القارئ الأجنبي تقدير القيمة الحقيقية لهذا الأدب متى ما قرأه مترجماً في لغة أخرى، وهكذا فالتعريف بالثقافة يهيئ المناخ المناسب لتلقي منتجاتها الإبداعية. ولعلَّ في اختيار الأكاديمية السعودية الدكتورة منيرة الغدير لرئاسة هذا الكرسي دليلاً على الأهمية التي يوليها القائمون على الكرسي لهذه المسألة، فالغدير متخصصة في الشعر النبطي، وهذا الشعر بتراكيبه اللغوية الخاصة، وتقاليده الشفهية الضاربة في التاريخ العربي، يجسد الثقافة في أشد صورها خصوصية وارتباطاً بالسياقات التاريخية

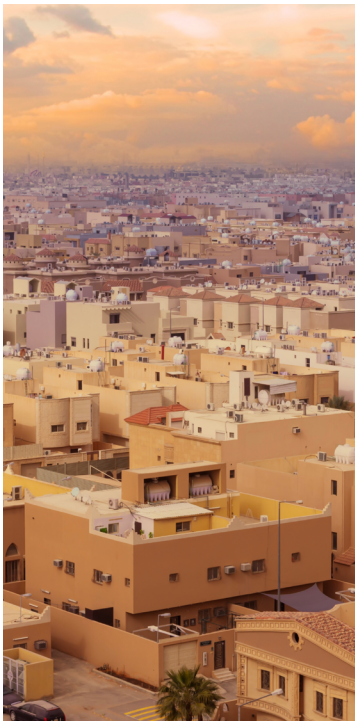

الأمر الثاني: الجهد المؤسسي، فترجمة الثقافة العربية تتطلب عملاً مؤسسياً يتجاوز الاجتهادات الفردية هنا وهناك، ويصدر بناء على خطط واستراتيجيات مدروسة تتلافى ما تعيشه الترجمة في العالم العربي من تداخل في الجهود وتكرار في عمليات الترجمة.

ومن الواضح أنَّ الكرسي يأتي للتعاطي مع هذين الأمرين، فهو من ناحية يركز على الثقافة العربية في حوارها مع الثقافات الإنسانية ولا سيما ثقافات الجنوب العالمي، ومن ناحية أخرى يجسد عملاً

مؤسسياً تتعاون فيه المؤسسات الثقافية السعودية مع المؤسسات الأمية لتعزيز حضور الثقافة العربية في المشهد العالمي

2- تحديات الترجمة

إلى جانب التحديات المتعلقة بالثقافة، هناك أيضاً التحديات المتعلقة بممارسات الترجمة وأدبياتها في العصر الحديث، حيث قامت هذه الممارسات إلى حد كبير على مراعاة اللغة الهدف على حساب اللغة المصدر، وقد كان لهذه الممارسات التي عززتها على السواء المؤسسات الأكاديمية والتجارية تداعياتها على الثقافات المحلية، لأنَّ ترجمة النصوص لتكون جارية على سنن اللغة المنقول إليها يتطلَّب دائماً تحويراً ثقافياً تُغيَّر بموجبه الكثير من العناصر الألصق بالثقافة في النص المصدر، وذلك من قبيل العبارات الاصطلاحية والصور المجازية والإحالات التاريخية والدينية والأسطورية إمَّا إلى صيغ بديلة في الثقافة التي ينتمي إليها النص الهدف أو إلى صيغ مجردة من أي مضمون ثقافي (culture-free items)، وهذا التحوير وإن بدا ملائماً للثقافة المنقول إليها إلا أنَّ فيه حيفاً على الثقافة الأصلية وطمساً لمعالمها وتذويباً لها في الثقافة المنقول إليها

وهذا التحوير وإن بدا ملائماً للثقافة المنقول إليها إلا أنَّ فيه حيفاً على الثقافة الأصلية وطمساً لمعالمها وتذويباً لها في الثقافة المنقول إليها

ولهذا وابتداءً من مطلع القرن الحادي والعشرين، ظهر ما أسمته سوزان باسنيت "الانعطافة الثقافية" (cultural turn) في الترجمة، للإشارة إلى التفاعل ما بين الثقافة والترجمة، والمسؤولية المناطة بالمترجمين للاضطلاع بدور الوسيط بين الثقافات بحيث لا يقتصر عملهم على المنحى المعجمي المتعلق بتعويض كلمة بأخرى وإنما يتجاوز ذلك ليشمل استيعاب الثقافة المنقول منها وتقديمها إلى بقية الثقافات

وقد كانت استراتيجية التغريب (foreignizing strategy) من أبرز الأدوات التي توسَّل بها المترجمون لتحقيق هذه النقلة، بما تعنيه هذه الاستراتيجية من مقاربة النص الأصلي في بنيته الكلية الفريدة المركبة

من بنائه اللغوي وإحالاته الثقافية، ومحاولة الاحتفاظ بهذه البنية بقطع النظر عن مدى غرابتها بالنسبة لقارئ النص الهدف. وإذا كانت هذه الاستراتيجية قد نشأت في الأساس رداً على هيمنة استراتيجية التوطين (domesticating strategy) في التقليد الغربي، وما استتبعته من إخضاع النصوص الأصلية لمنطق الثقافة الغربية، فإنَّ الحاجة إليها تتفاوت بالنظر إلى الثقافة المنقول منها، بمعنى أنَّ افتقار الثقافات الغربية إلى هذه الاستراتيجية أقل من افتقار الثقافة العربية مثلاً إليها وذلك بحكم التفاوت الكبير بين الثقافتين في التأثير والانتشار

وهكذا، فالثقافة العربية وغيرها من ثقافات الجنوب العالمي في أمسِّ الحاجة إلى هذا النوع من الترجمة الذي يقوم كما يقول الفيلسوف الرومانسي فريدريك شلايرماخر على إرسال القارئ إلى الخارج، أي إلى ثقافة النص المصدر، بدلاً من تطويع النصوص وسوقها إلى القارئ وقد تم ترويضها وإخضاعها لثقافة اللغة الهدف

ويبدو أنَّ الكرسي سيعمل على سد الفجوات في هذا الجانب لا سيما مع تركيزه الكبير على ثقافات الجنوب العالمي مثل الثقافة الصينية، وعلاقتها بالثقافة العربية، بما يؤكد توجهه لتقوية التضامن بين هذه الثقافات وتعزيز حضورها عالمياً بما من شأنه ترسيخ التعددية الثقافية وبناء عالم أكثر توازناً في حواره الفكري والحضاري

مركز الخليج للأبحاث
المعرفة للجميع

www.ar.grc.net

الرياض

مكتب FN11A، البرج الشمالي
مؤسسة الملك فهد الفرعي، العليا
هاتف: 2112567 ، 2031188-11-966+
البريد الإلكتروني: info@grc.net

جدة

30 شارع راية الإتحاد (19)
ص.ب 2134 جدة 21451
المملكة العربية السعودية
هاتف: 126511999-966+
فاكس: 126531375-966+
البريد الإلكتروني: info@grc.net

جنيف - سويسرا / كامبريدج - بريطانيا / بروكسل - بلجيكا

Geneva - Switzerland
Gulf Research Center
Foundation
Avenue, de France 23
1202 Geneva switzerland
Fax: +41227162730
Email: info@grc.net

Cambridge - England
Gulf Research Center
Cambridge University of
Cambridge, Sidgwick
Avenue,Cambridge
CB3 9DA, UK
Tel: +760758-1223-44
Fax: +335110-1223-44

Brussels - Belgium
Coming Soon